

أضواء البيان

@ 348 @ وَاقْرَأْ { . وقد بينا معنى كونهم لا يستطيعون السمع في أول سورة (هود) في الكلام على قوله تعالى : { يُضَاعَفْ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُدْصِرُونَ } فأغنى عن إعادته هنا . وقد بينا أيضاً طرفاً من ذلك في الكلام على قوله تعالى في هذه السورة الكريمة : { إِنْ زَلَّ جَعَلْنَا عِلَالَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفَيْدَةً إِذْ أَنْهَاهُمْ وَقْرَأْ } وقد بين تعالى في موضع آخر : أن الغطاء المذكور الذي يغشو بسببه البصر عن ذكره تعالى يقيض □ لصاحبه شيطاناً فيجعله له قريناً . وذلك في قوله تعالى : { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } . قوله تعالى : { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنْ زَلَّ أَغْتَدَدْنَا جَهَنَّمَ لَلْإِكْفَارِينَ نُزُلًا } . الهمزة في قوله تعالى : { أَفَحَسِبَ } للإنكار والتوبيخ . وفي الآية حذف دل المقام عليه . قال بعض العلماء : تقدير المحذوف هو : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ، ولا أعاقبهم العقاب الشديد كلاً ! بل سأعاقبهم على ذلك العقاب الشديد . بدليل قوله تعالى بعده : { إِنْ زَلَّ أَغْتَدَدْنَا جَهَنَّمَ لَلْإِكْفَارِينَ نُزُلًا } وقال بعض العلماء : تقديره : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء وأن ذلك ينفعهم . كلاً لا ينفعهم بل يضرهم . ويدل لهذا قوله تعالى عنهم : { مَا زَعِبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّرَ بُؤْسًا إِلَى اللّهِ زُلْفَى } وقوله عنهم : { وَيَقُولُونَ هَآؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّهِ } . ثم إنه تعالى بين بطلان ذلك بقوله : { قُلْ أَتُذَيِّبُونَ اللّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، وما أنكره عليهم هنا من ظنهم أنهم يتخذون من دونه أولياء من عباده ولا يعاقبهم . أو أن ذلك ينفعهم جاء مبيناً في مواضع ، كقوله في أول سورة (الأعراف) : { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } . فقد نهاهم عن اتباع الأولياء من دونه في هذه الآية ، لأنه يضرهم ولا ينفعهم ، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن من الأدلة على أنه لا ولي من دون □ لأحد ، وإنما الموالات في □ ، كقوله : { وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ } ، وقوله : { وَلَا تَرْكَدُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } ، وقوله : { وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دُونِ } .

وَلَيْ{ } ، وقوله { وَأَنْذِرْ بِهِ السَّادِّينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا } إِلَى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلَيْ{ } ، وقوله : { وَذَرِ السَّادِّينَ
اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبَاءَ وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسُطَ زَفَافُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلَيْ{ } ، ونحو ذلك من الآيات . وسيأتي له قريباً إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح وأمثلة
 . والأظهر المتبادر من الإضافة في قوله (عبادي) أن المراد بهم نحو الملائكة